مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد 09/ العـدد: 01 (2023)، ص 69- 100

القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط في كتابات الجرافيين والرحالة من القرن الرابع إلى نهاية القرن الثامن الهجريين (العاشر إلى الرابع عشر الميلاديين) –دراسة وصفية وديمغرافية-

The western section of the Central Maghreb desert in the writings of the geographers and travelers from the fourth century to the end of the eighth century AH (10th to 14th century AD) - a descriptive and demographic study -

زهراء العايب[1]*
[1] جامعة طاهري محمد بشار (الجزائر)، مخبر الدراسات الأثرية والتاريخية في شمال إفريقيا، zahra.laib@univ-bechar.dz

تاريخ الاستلام: 2021/12/07 تاريخ النشر: 2023/06/18

ملخص:

تحتلُّ صحراء المغرب الأوسط مساحةً هامةً من أرض وتاريخ بلاد المغرب عمومًا، والمغرب الأوسط خصوصًا. لكن الكِتابات التاريخية الشَّحيحةَ عنها كرَّست لصورةٍ نمطيَّة عن صحراءَ قاحلةٍ لا عمار فيها، خلال الفترة الوسيطة. كما أنَّ الكتابات الجغرافية ومُدَّونات الرحالة عنها، لم تبدأ بالتوافر إلا مع مطلع القرن التاسع الهجري (15 م) مع توالي الرحلات وتعدد المُصنفات. لذا تهدف هذه الدراسة إلى التوغل في الفضاءات المظلمة من تاريخ المنطقة، وتاريخها المجهول، من خلال البحث في كتابات الجغرافيين والرحالة ما قبل القرن التاسع الهجري (14م)، لرسم صورة أوضح عنها في هذه الفترة.

وأبرز ما توصلنا إليه هو كون القسم الغربي من صحراء المغرب الأوسط؛ على عكس ما قد يعتقد بعض الباحثين عن تغييبه في كتابات العصر الوسيط، لا سيما قبل القرن الرابع الهجري؛ كان حاضرًا بشخصيته ومميزاته وحضارته وحواضره العامرة. وقد توصلنا إلى جمع مادة تاريخية جُغرافية تُمَهِّدُ لدراسات مُستقبلية أكثر دقةً وتوسُّعًا.

كلمات مفتاحية: صحراء المغرب الأوسط، الكتابات الجغرافية، مدونات الرحلة، القرن الرابع الهجري (10م)، القرن الثامن الهجري (14م).

*المؤلف المرسل

Abstract:

The western section of the Central Maghreb desert occupies an important area of the land and history of the Maghreb in general, and Algeria in particular. But few historical writings about it confirmed its image as a barren desert during the Middle Ages. Geographical writings and traveller blogs were provided only extensively at the beginning of the 9th century AH (15 AD) as the number of geographical journeys increased. This study aims to highlight the history of this unknown region, by researching the writings of geographers and pre-9th-century travellers (14 AD) to paint a clearer picture of it in this period.

Our most notable finding is that The western section of the Central Maghreb desert, contrary to what some researchers may think, was not absent in the writings of geographers and travellers, but existed in its urban, civilization and all its advantages. We have come up with the collection of geographical historical information that paves the way for more accurate and expanding future studies.

Keywords: Central Maghreb desert, geographical writings, travel blogs, 4th century AH (10 a.m.), 8th century AH (14th).

1. مقدمة:

تعتبر كتابات الجغرافيين، ومُدونات الرَّحالة من المصادر الهامة في كتابة تاريخ صحراء بلاد المغرب خلال العصر الوسيط. لكن هذه الكتابات لم تعرف وفرة في عددها، ودقة في محتوياتها إلا مع القرن التاسع الهجري (15م) مما أبقى الفترة السابقة في غموض نسبي، خاصة مع ما تداوله بعض الرحالة والجغرافيين عنها من أساطير وخُرافاتٍ. ولأن الكتابات الجغرافية عموما لم تنتعش في العالم الإسلامي إلا بعد القرن الثالث الهجري، خاصة تلك التي تناولت بلاد المغرب وصحراءها، فإننا نجعل من القرن الرابع الهجري مُنطلق بحثنا. مما يضعنا أمام إشكالية: الخصائص الطبيعية والبشرية للقسم الغربي من صحراء المغرب الأوسط، من خلال الكتابات الجغرافية من القرن الرابع إلى القرن الثامن الهجريين (10-14م). فنطرح مجموعة من الأسئلة الفرعية للإجابة عنها: ما هي الحدود

الجغرافية للمنطقة من خلال هذه الكتابات؟ وكيف صور الرحالة والجغرافيون الجانب الطبيعي والبشري للمنطقة؟ ما هي أهم الأقاليم والقى والحواضر التي وجدت بها؟ وكيف توزعت القبائل عبر تُرابها؟

ونهدف من خلال بحثنا هذا إلى:

- الخروج عن الإطار الزماني الذي يركز عليه الباحثون في دراساتهم لتاريخ القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط، والتي ترتكز عادة على الكتابات المتأخرة، بمحاولة دراسة فترة مهملة غامضة للقدوم بجديد.

- التحرر من النمطية السائدة في استعمال الكتابات الجغرافية ومدونات الرحالة بالبحث عن أقاليم بعينها وأسماء حواضر محددة، إلى قراءة ما بين السطور واستسقاء المعلومات من العبارات العارضة التي تحمل صورا قد تكون أوضح من كثير من العناوين الصريحة في غالب الأحيان. لأن صحراء المغرب الأوسط هي نفسها الأقاليم الواقعة قِبلة (جنوب) تلمسان وسجلماسة وتيهرت، وهي المناطق الواقعة على طريق القوافل التجارية بين بلاد المغرب وبين السودان وغانة وبلاد مالي من جهة الغرب. وهي نفسها صحراء بلاد المغرب المتاخمة لشرق حاضرة سجلماسة، وأراضي فجيج، ووادي درعة المغربية.

- استخراج مميزات المجال الطبيعي لصحراء المغرب الأوسط من تضاريس ومناخ ومسالك ومواقع من خلال ما أورده الجغرافيون والرحالة والمؤرخون عن بلاد المغرب وصحرائها عموما.

- استنتاج مميزات سكان صحراء المغرب الأوسط ومواطنهم خلال الفترة المدروسة، بما فيها من خصائصهم الخلقية والخلقية وعاداتهم وأنماط معيشتهم، وتوزيع القبائل البربرية والعربية، وما عرفوه من تحولات على مر أربعة قرون كاملة من تاريخهم.

وقد اعتمدنا في هذا على المنهج الوصفي التحليلي، مستعينين بخطة تقوم على خمسة عناصر أساسية: تبدأ من تحديد الموقع الجغرافي للقسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط حسب الأقاليم الجغرافية التي عرفت في العصر الوسيط. ثم استخراج الخصائص الطبيعية للمنطقة، وبعدها الخصائص البشرية، وتقسيم أقاليمها الرئيسية الثلاث بقُراها وحواضرها، ثم كيفية توزع القبائل فيها. مُعتمدين في استسقاء معلوماتنا على مجموعة من المصادر التي كتبها جغرافيون، أو رحالة، وكتاب ابن خلدون الموسوعي لما تضمنه من معلومات جغرافية هامة عن المنطقة والفترة محل الدراسة. وذلك بإيراد ما ذكره كل واحد منهم وفق ترتيب كرونولوجي من الأقدم للأحدث، حرصا على ابراز التسلسل التاريخي لما عرفته المنطقة من أحداث وتحولات.

2. المجال الجغرافي لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري في الكتابات الجغرافية:

أدرج الجغرافيون العرب القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط ضمن أقاليم مختلفة بحسب التقسيم الذي يعتمدونه للكرة الأرضية. فقد تقع في إقليم عند أحدهم وتشمل إقليما أخر عند غيره، أو تمتد عبر عدة أقاليم عند البعض الآخر. نستعرض فيما يلي هذه التقسيمات والامتدادات حسب الترتيب الزمني لأصحابها من الأقدم للأحدث:

صور لنا الإصطخري (ت346هـ) في وسط القرن الرابع الهجري حدود بلاد المغرب وأقاليمه، وهي: برقة وافريقية وتاهرت والسوس وزويلة بما تضمه من أحواز حولها. فيحده مصر من الشرق والبحر المحيط (المحيط الأطلسي) من الغرب، وبحر الروم (البحر المتوسط) من الشمال، بينما يمتد على صحار رملية واسعة من الجنوب تمتد من الواحات التي تتاخم بلاد السودان النوبة شرقا، إلى البلاد السوس وسجلماسة التي تُتاخم بلاد السودان غربا (الإصطخري، 2004: 37).

كما حدد المسافات في بلاد المغرب عموما، وذكر بعض المسافات التي تخترق منطقة الجنوب الغربي الجزائري أو تمر عبرها. فقدر المسافة من القيروان بتونس حاليا، إلى السوس الأقصى بالمغرب، بنحو مائة وستة عشرة مرحلة، ومن تيهرت إلى سجلماسة بنحو

خمسين مرحلة، ومن القيروان إلى سجلماسة عن طريق البرية نحو ثمانين مرحلة، وعن طريق العمارة نحو مائة وعشرين مرحلة (الإصطخري، 2004: 46).

أما الإدريسي (ت560هـ) في كتابه نزهة المشتاق، خلال القرن السادس الهجري، فقد قسم الأرض إلى سبعة أقاليم، وكل إقليم إلى عشرة أجزاء. وقد جعل منطقة الجنوب الغربي الجزائري ضمن الجزء الأول من الإقليم الأول؛ الذي يضم منطقة شمال السودان الغربي. وضمن الجزئين الأول والثاني من الإقليم الثاني. والجزء الأول من الإقليم الثالث؛ والتي تضم الأجزاء الباقية من المنطقة.

ومِثله قسم ياقوت الحموي (ت 626هـ) في القرن السابع الهجري الأرض إلى سبعة أقاليم أيضا، حيث يقع القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط ضمن الإقليم الثالث عنده (ياقوت الحموي، 1995: 29/1)

وفي أواخر القرن السابع الهجري، قسم ابن سعيد المغربي (ت685هـ) على نهج سابِقَيه (الإدريسي والحموي) الأرض إلى سبعة أقاليم، وكل إقليم إلى أجزاء، ويقع القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط ضمن الإقليمين الثاني والثالث، فَقِسمٌ منها يقع على الطريق بين غانة وسجلماسة في الجزء الثاني من الإقليم الثاني (ابن سعيد، 1970: 113) والقسم الثاني يقع في الجزء الأول من الاقليم الثالث (ابن سعيد، 1970: 124)

صحيح أن ابن خلدون ليس رحالة أو متخصصا في الجغرافيا، لكنه معروف بموسوعيته وتطرقه لمختلف العلوم الانسانية، فأورد في كتابه معلوماتٍ جغرافية هامة عن بلاد المغرب وصحرائها لا يمكن لنا الاستغناء عنها. كما أنه عاصر القرن الثامن الهجري الذي تتوقف عنده حدود دراستنا، وقدم لنا معلومات عنه وعن القرون السابقة له أيضا.

ويقع القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط بحسب التقسيم الذي أورده ضمن الإقليم الثالث، الذي يمتد في بلاد المغرب من جبال درن شمالا إلى صحراء نستر المفازة

جنوبا، ومن البحر المحيط غربا، إلى صحراء ودان شرقا. كما تقع منطقة شمال السودان الغربي ضمن الإقليم الثاني الذي يُغطي الإقليم الممتد من لمطة المغربية غربا إلى صحراء فزان الليبية شرقا، مارا بصحراء المغرب الأوسط، ومعها قسمها الغربي محل دراستنا هذه (ابن خلدون، 1988: 74/1)

فالمجال الذي حدده الجغرافيون والرحالة ومعهم ابن خلدون لصحراء المغرب الأوسط، وقسمها الغربي، يختلف باختلاف التقاسيم التي اعتمدوها. كما سنلاحظ فيما يأتي أن حدودها أيضا تختلف باختلاف درجات معرفتهم بالبلاد، أو حجم المعلومات التي وصلت إليهم عنها، وآرائهم في تحديد أقاليمها. وقد يصل الاختلاف بين تقسيماتهم أن يضم بعضهم الصحراء المغربية الكبرى إلى بلاد السودان، أو أجزاء واسعة من صحراء المغرب الأوسط إلى مملكة مالي أو غانة.

3. وصف الجانب الطبيعي للمنطقة:

قدم كل من الجغرافيين والرحالة المشارقة منهم والمغاربة، أوصافا منها العام ومنها المفصل، ومنها ما يتميز بالدقة والصحة، ومنها ما هو من ضرب التعميم وإطلاق الأحكام، والذي يرجع إلى قلة معرفتهم بالبلاد وعدم معاينتهم لها بأنفسهم، بل اعتمادهم على ما وصلهم من أخبار فقط.

يقول الإصطخري (ت346هـ) في وسط القرن الرابع الهجري، عن الحدود الجنوبية للقسم الغربي من صحراء المغرب الأوسط أنه: "يمتد على برية ليس وراءها عمارة، وجنوبيه رمل من حد البحر المحيط حتى يمتد من وراء سجلماسة إلى زويلة، ثم يمتد إلى ظهر الواحات من أرض مصر" (الإصطخري، 2004: 37) فوصف كل المناطق الواقعة جنوب السوس الأقصى وسجلماسة، والممتدة من المحيط الأطلسي إلى منطقة الواحات بمصر بأنها مناطق رملية قاحلة خالية من العمارة والسكان. وهذه المنطقة التي صورها تشمل كل القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط، التي وصفها أيضا في حديثه عن المناطق الواقعة بين تيهرت وسجلماسة في قوله:" وسجلماسة مدينة وسطة من حدّ تيهرت

الّا انّها منقطعة لا يسلك اليها الّا فى القفار والرمال، وهي قريبة من معدن الذهب، بينها وبين أرض السودان وأرض زويلة، ويقال انّه لا يعرف معدن للذهب أوسع ذهبا ولا أصفى منه الّا انّ المسلك اليه صعب والاستعداد شاقّ جدّا" (الإصطخري، 2004، 39).

فصور منطقة شرق السوس الأقصى الواقعة بين تيهرت وسجلماسة بالقفار والرمال، ومسالكها بالصعبة الشاقة. كما يجعلها في مثلث أرض الذهب الذي حدده هو من جنوب سجلماسة بالمغرب الأقصى، إلى زويلة (شرق دولة ليبيا حاليا) إلى أرض السودان.

فمن الواضح أنه ينقل معلوماته من الأخبار التي وصلته دون معاينة شخصية، لذا نجده يستعمل عبارة "يُقال" وهذا ما يجعله يخطئ بإدخال كل صحراء المغرب الأوسط ضمن إقليم الذهب المعروف انه كان يجلب من أرض السودان. وهذه سمة غالبة على جغرافيي هذا العصر باعتمادهم الرواية الشفوية والأخبار في تصوير الأقاليم.

في وصفه لخريطة بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وصف ابن حوقل (ت 367هـ) القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط. بالمفاوز والبراري المنقطعة قليلة المياه والمراعي في قوله: "وبين المغرب والبلدان التى قدّمت ذكرها وبلد السودان مفاوز وبراري منقطعة قليلة المياه متعذّرة المراعى لا تسلك إلّا فى الشتاء وسالكها فى حينه متّصل السفر دائم الورود والصدر" (ابن حوقل، 1938: 103).

ولم يختلف البكري (ت487هـ) في أواخر القرن الرابع الهجري، عن ابن حوقل في الاختصار في الوصف، حيث اقتصر حديثه عن صحراء بلاد المغرب -غالبًا-على ذكر أسماء الأماكن والحواضر الأساسية المعروفة في زمانه، دون تقديم أوصافها أو معلومات كالتي قدمها الإصطخري مثلا. لكنه تفرد بتقديم وصف لشبكة المجاري المائية الخارجة من الصحراء؛ ومنها تلك المجاري التي تجاور مناطق من الجنوب الغربي الجزائري؛ فيقول: " ويخرج من هذا الجبل (جبال الأطلس) في القبلة إلى الصحراء نهر درعة وهو نهر عظيم

ينصبّ في بحر نول في البحر المحيط. ومن هذا الجبل ينبعث وادي غريس، وهو نهر سجلماسة الذي يعرف بوادي زيز" (البكري، 1992: 01/ 238).

بعد البكري قدم الإدريسي (ت560هـ) خلال القرن السادس الهجري معلومات غزيرة عن صحراء بلاد المغرب، ونستطيع من خلال تقسيمه للأقاليم -كما شرحنا سابقا-أن نُميز بين الجهة الشمالية من هذه الصحراء الكبرى والمُتاخمة للمنطقة التلية، وبين الصحراء الجنوبية المتاخمة لبلاد السودان، سنُفَصِّل فيها في حديثنا عن كل إقليم من صحراء المغرب الأوسط على حِدًا لاحقًا.

رغم كون أبي حامد الغرناطي (ت565هـ) صاحب "تحفة الألباب ونخبة الاعجاب" من أبناء المغرب، إلا أننا نجد الوصف الذي يقدمه عن صحراء بلاد المغرب أقل دقة مما قدمه سابقوه من المشارقة، كما أن معلوماته تعتمد على الأخبار والروايات المتناقلة عن المنطقة، والتي ينقلها دون تمحيص وتمييز للأسطورة عن الحقيقة، ولا أدل على ذلك من القصة التي ذكرها عن وجود أُمة في فيافي المغرب، كُلها نساء ولا رجال فيها، تحمل المرأة منهن بالسباحة في ماء عندهن، ولا تلدن إلا البنات أيضا (أبو حامد الغرناطي، 1993: 44).

وقد جعل في تقسيمه جزء كبيرا من صحراء بلاد المغرب ضمن بلاد السودان، فهي تبدأ عنده من جنوب طنجة وسجلماسة، وقال بأنها عبارة عن رمال كالبحار تسير فيها القوافل التي تحمل الملح إلى السودان، مُهتديةً بالنجوم والجبال في القفار، ويحملون معهم الزاد لستة شهور (أبو حامد الغرناطي، 1993: 39) في اشارة واضحة إلى بُعد المسافة التي يقطعونها، والتي تستغرق منهم نصف عام لعبورها.

لم يختلف أسلوب صاحب كتاب الاستبصار عن أسلوب البكري وابن حوقل في الاقتصار على ذكر أسماء بعض المناطق والحواضر، دون تقديم تفاصيل وأوصاف دقيقة. كما لم يزد ياقوت الحموي (ت 626هـ) في حديثه عن صحراء بلاد المغرب عن وصف بعض الحواضر البارزة فيها أيضا.

لكن القزويني (ت682هـ) قدم تفاصيل أكثر عن الصحراء المغربية الكبرى، في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد. فيصف الطريق بين سجلماسة وغانة؛ والذي يخترق صحراء المغرب الأوسط؛ بالبراري المُعطِشَةِ المتعبة لسالكيها، حيث يحتالون لإبقاء الماء معهم بأن" يستصحبوا معهم جِمالاً فارغةً من الأحمال، ويعطشونها قبل ورودهم الماء الذي يدخلون منه في تلك البراري، ثم أوردوها على الماء نهلاً وعللاً حتى تمتلي أجوافها، ويشدون أفواهها كي لا تجتر فتبقى الرطوبة في أجوافها، فإذا نشف ما في أسقيتهم واحتاجوا إلى الماء، نحروا جملاً وترمقوا بما في بطونها، وأسرعوا بالسير حتى يردوا مياهاً أخرى، وحملوا منها في أسقيتهم" (القزويني، دس: 19)

بينما وصفها ابن سعيد المغربي (ت 685هـ) في كتاب الجغرافيا في أواخر القرن السابع الهجري بأنها إقليم:" في وضعه لا ماء ولا مرعى ولا عمارة، بل رمال سائلة وطرق مضللة طامسه" (ابن سعيد، 1970: 113) معظمها صحراء قاحلة يكابد من يقطعها شدة العطش ووهج الحر. وأورد أيضا ما ذكره من سبقوه مثل القزويني (ت 682) من تخزين الماء في بطون الجمال، ونحرها في حال نشفت المياه بفعل الرياح الجنوبية الحارة (ابن سعيد، 1970: 113)

والملفت في وصف ابن سعيد لصحراء المغرب الأوسط بِقِسمَيها الشرقي والغربي هو ذلك الفرق الموجود بين الطرفين من ناحية الطبيعة ونمط الحياة، ففي حين تظهر منطقة الجنوب الغربي قاحلةً شديدةَ الحر والجفاف، يُكابد سكانها للعيش، إلا في الحواضر القريبة من المجاري المائية مثل تلك المجاورة لسجلماسة ودرعة، تظهر صحراء الجنوب الشرقي الجزائري –رغم القفار-بلادَ نخيلٍ وعبيدٍ ومحمضاتٍ ومياهٍ تنبع كالسهم، كما تنتشر على ضفافها المزارع، وتُجلب منها أصناف التمر إلى حاضرتي تونس وبجاية (ابن سعيد، 1970: 127)

وهو فرق نستمر في معاينته إلى أيامنا هذه، حيث تعتبر مناطق صحراء الجنوب الشرقي الجزائري مصادر تموين بمختلف الغلات والمزروعات، في حين يكابد سكان الصحراء الجزائرية الغربية الغلاء وقلة المنتوجات الزراعية بأنواعها.

تقع منطقة الجنوب الغربي الجزائري حسب ما أورده شمس الدين الأنصاري (ت727 ه) في بداية القرن الثامن، في كتابه "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر" ضمن نطاقين: فجزؤها الشمالي يقع ضمن إقليم عامرٍ جنوب تلمسان وتاهرت، أسماه بالبلاد البرية الجبلية المتوسطة من افريقية بين الساحلية والصحراوية، حيث تقف حدوده جنوبا عند خط يمتد من السوس الأقصى ومراكش في المغرب الأقصى، إلى بلاد الزاب وبسكرة في المغرب الأوسط، إلى بلاد قسطيلية من المغرب الأدنى، ومعه يتوقف العمار في بلاد المغرب –حسبه- إذ وصف كل الأقاليم الواقعة جنوبه بالصحراء الرملية الخالية، التي لا يُعرف فيها عمران ولا حيوان:" إنما هي رمال سواخذة لا يثبت فيها قدم" (الأنصاري، 1825: 238) وأكد هذا في حديثه عن سجلماسة عندما قال: " لا يعرف في قبليها ولا غربيها عمران ومنه يدخل الداخل الى بلاد السودان" (الأنصاري، 1825: 240)

فنجده قد سار على نهج الإصطخري (ت346ه) وأبي حامد الغرناطي (ت565ه) في ضمه أجزاء واسعة من صحراء بلاد المغرب إلى بلاد السودان، التي تبدأ عنده هو أيضا من جنوب سجلماسة، لتضم في ثناياها أجزاء واسعة من صحراء المغرب الأوسط عموما قسمها الغربي خصوصا.

وسار على نهجهم شهاب الدين العمري (ت 749ه) أيضا في "كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" في أواسط القرن الثامن الهجري، عندما ضم أجزاء واسعة من صحراء بلاد المغرب إلى مملكة مالي. وقد جعل جزء من القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط ضمن ممالك البربر شمال مالي، وجزءها الآخر ضمن مملكة مالي وما جاورها. فهذه الأخيرة عنده تبدأ من جنوب مراكش غربا إلى جنوب إقليم الواحات في مصر شرقا، لتشمل أجزاء واسعة من صحراء المغرب ومعها صحراء المغرب الأوسط خصوصا. فأما

ممالك البربر التي تحدث عنها فقد وصف بلادهم بأنها:" جدبة ولا يد تمتد لهم إلى كسب، وغالب أرزاقهم من دوابّهم" (العمري، 2002: 134/4) كما وصفها بالبر المقفر (العمري، 2002: 125/4). وأما المناطق التابعة لسلطان مالي على نحو ما ذكر فهي: "قفار طويلة وصحار ممتدة موحشة" (العمري، 2002: 126/4)

يعد كتاب ابن بطوطة (ت 779هـ) الذي دوَّن فيه رحلته في القرن الثامن الهجري، مصدرا هاما عن صحراء بلاد المغرب التي عبرها في رحلته من المغرب إلى السودان، وقد عبر في طريق ذهابه منطقة شرق السوس الأقصى من سجلماسة إلى تغازى (الواقعة اليوم أقصى شمال دولة مالي على الحدود الجزائرية)، والتي استغرق منه قطعها خمسة وعشرين يوما (ابن بطوطة، 2002: 1/ 07) ثم في طريق عبر في طريق عودته منطقة توات التي استغرقه الوصول من تكدا إليها أزيد من شهرين (ابن بطوطة، 2002: 2/ 542).

وصف ابن خلدون (ت 808هـ) جغرافية بلاد المغرب بصورة دقيقة، تُبَيِّن درجة الوضوح التي يملكها في ذهنه عن المنطقة، والمعلومات الدقيقة التي وصلته عن صحرائها والقسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط. حتى أنه غير تلك الصورة النمطية التي رسخها بعض الرحالة والجغرافيين السابقين عن انتشار القفار والرمال وانعدام والقوت والعمار، بل على العكس من ذلك فَصَّل في خصائص كل منطقة على حدا، وميَّز بين الواحات والقصور العامرة، وبين المفازات الجرداء المُقفرة.

فقد تحدث عن العرق الكبير الذي يفصل المغرب عن السودان، ويشكل سياجا على بلاد المغرب جنوبا من شرقها إلى غربها، مُمتدًا على ثلاثة مراحل. ويعترضه في المغرب الأوسط الحماده، وتقع جنوبه ما أسماه "بلاد الجزيرة ذات النخيل"، التي يقصد بها نواحي توات وتمنطيت وتسابيت وتيكورارين (ابن خلدون، 1988: 132/6).

ولم يهمل الحديث عن المجاري المائية التي تخترق هذه الصحراء، فتحدث عن نهر كير الكبير الذي ينبع من فوهة نهر ملوية، ويتجه جنوبا ليتوغل في صحراء المغرب الأوسط،

قاطعًا العرق الكبير نحو تمنطيت؛ التي شيدت قصورها على حافته؛ ثم يمتد في القفار والرمال باتجاه وركلان، وقبلها بودة وتيكورارين، التي تجاوز عدد قصورها على ضفافه الثلاثمائة قصر (ابن خلدون، 1988: 134/6).

ويمكن ببساطة أن نلاحظ، من خلال ما تم ذكره، التطور في درجة معرفة الجغرافيين والرحالة والمؤرخين ببلاد المغرب وأقاليمها وصحرائها مع مرور الزمن. حيث أن الدقة في وصف صحراء المغرب الأوسط، وخصائصها الطبيعية تزداد عند المتأخرين من أمثال ابن بطوطة وابن خلدون.

4. أقاليم القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط:

لم يكن القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط كتلة واحدة، بل انقسم من الناحية الطبيعية والبشرية إلى ثلاثة أقسام رئيسية.

1.4 إقليم شرق السوس الأقصى:

يشمل هذا الإقليم مناطق صحراء المغرب الأوسط، المحاذية لصحراء المغرب الأقصى أو ما يعرف بالسوس الأقصى. ولا نجد لها ذكرا كثيرا، في القرن الرابع الهجري، سوى ما ذكره البكري عن الأقاليم الواقعة جنوب تلمسان، وجبالها التي تشكل الأطلس الصحراوي حاليا، ووصفها بأنها مدخل الصحراء، وكيف أنها جبال معمورة بالسكان ومنها يسافر إلى سجلماسة مرورا بالقسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط. (البكري، 1992: 02/ 746).

كما حدد الإدريسي المسافات بين الأقاليم الصحراوية، فقدر المسافة بين سجلماسة نحو سلى وتكرور بأربعين يوما بسير القوافل (الإدريسي، 1988: 18) وذكر طريق القوافل بين تلمسان وسجلماسة، والذي يتخذ محورين شمالي تفضله القوافل يعبر من تلمسان إلى فاس إلى درعة ثم سجلماسة، وآخر جنوبي في المفازة لا تعبره القوافل إلا نادرًا، ينطلق من مدينة تلمسان إلى قرية تارو ومنها إلى جبل تامديت (الجلفة حاليا) إلى قرية غايات التي يقصدها العابرون لوجود بئر ماء معين بها، ثم إلى صدرات إلى جبل تيوى وأسفله

مدينة خراب أيضا، لكن بها عين ماء خرارة، ثم إلى فتات وهي بئر في وسط صحراء، ومنها إلى شعب الصفا الواقع بين جبال درن ومجرى نهر يأتي من هناك، ومنه إلى تندلى، ثم إلى قرية تمسنان ومنها إلى تقربت، ثم إلى سجلماسة(الإدريسي، 1988: 249-250).

ولم يطل كثيرا في وصف الحواضر سابقة الذكر سوى ما أورده عن تامديت التي ذكر أن "عليها سور تراب وشرب أهلها من عيون بها وغلات أهلها من الحنطة والشعير المقدار الكثير" (الإدريسي، 1988: 192). أو ما قاله عن مدينة غايات والمدينة أسفل جبل تيوى بانهما مخربتان، وتندلي بأنها مدينة عامرة (الإدريسي، 1988: 249-250).

لم يختلف أسلوب صاحب كتاب الاستبصار عن أسلوب البكري وابن حوقل في الاقتصار على ذكر أسماء بعض المناطق والحواضر، دون تقديم تفاصيل وأوصاف دقيقة. وقد عرض لإقليم شرق السوس الأقصى في حديثه عن جنوب تلمسان والطريق من بلاد المشرق إلى المغرب المار بوجدة وسجلماسة (المراكشي، 1986: 177) والذي يمر بالقسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط، وما قدمه من وصف لحاضرة تيهرت ونواحيها.

كما لم يزد ياقوت الحموي (ت 626هـ) في حديثه عن صحراء بلاد المغرب عن وصف بعض الحواضر البارزة فيها، مثل: سجلماسة، وتاهرت، وتلمسان، ودرعة، دون التوسع في وصف المناطق المجاورة لها أو معابر التجارة التي تمر عبرها.

وفي رحلة ابن بطوطة التي عبر فيها خلال ذهابه إقليم شرق السوس الأقصى، تظهر لنا حواضر القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط بأسمائها وخصائصها، إذ وصف بيئتها وطرقها وسكانها، وأنماط الحياة والطعام بها. فوصف أولا الصحراء في طريق ذهابه بقوله:" لا طريق يظهر بها ولا أثر إنما هي رمال تسفيها الريح فترى جبالاً من الرمل في مكان ثم تراها قد انتقلت إلى سواه" (ابن بطوطة، 2002: 2/ 524) كما أكد ما نقله صاحب الاستبصار عن انتشار الجن في هذه الصحراء، ويؤكد أنها كثيرة الشياطين التي تتلاعب

بالناس، حتى بالأدلاء على الطريق منهم؛ والمعروفين باسم "التكشيف"؛ وتُظلهم عن طريقهم حتى يَهلكوا (ابن بطوطة، 2002: 2/ 524)

2.4 إقليم توات:

يبدوا أن هذا الإقليم لم يكن معروفا بشكل جيد عند الرحالة والجغرافيين المشارقة والمغاربة على حد سواء قبل القرن الثامن الهجري، فلا نجد له ذكرا أو وصفا إلا مع رحلة ابن بطوطة أواخر هذا القرن وبعده ابن خلدون في القرن التاسع الهجري، حيث تظهر حواضره وقصوره بصورة جلية.

لقد عبر ابن بطوطة هذا الإقليم في طريق العودة من رحلته، فيقول في وصف الطريق من تكدا إلى توات، أنها تمتد على برية لا عمارة فيها ولا ماء على مسيرة ثلاثة أيام، تليها برية لا عمارة فيها، لكن يتوفر فيها الماء، يستغرق عبورها خمسة عشر يوما، إلى مفترق طرق بين طريقي مصر عبر غات، والقسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط عبر توات، وفيه احساء ماء يجري على الحديد يُحول لون الثوب الأبيض إلى السواد إذا غُسل به (ابن بطوطة، 2002: 2/ 542)

فتوات عند ابن بطوطة ليس اسم حاضرة فحسب، بل هو إقليم يضم مجموعة قرى. مر ابن بطوطة منها بقرية بودا، ويصف البيئة هناك بأنها عبارة عن أرض رمال وسباخ، لكنه ينفي صفة الفقار وانعدام القوت في هذا الإقليم التي أكدها الجغرافيون سابقا، فيذكر أن: "تمرها كثير ليس بطيب، لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة" مع اشارته إلى انعدام بعض أصناف الطعام كالسمن والزيت، الذي يُجلب إليهم من الشمال (ابن بطوطة، 2002: 2/ 542)

أما ابن خلدون الذي قدم وصفا دقيقا لتضاريس صحراء بلاد المغرب، فقد أطلق على هذا الإقليم اسم: "بلاد الجزيرة ذات النخيل"، التي يقصد بها نواحي توات وتمنطيت وتسابيت وتيكورارين (ابن خلدون، 1988: 132/6).

وتوسع في وصف هذه المناطق الواقعة جنوب العرق الكبير؛ أين اختطت مغراوة القصور والأطم –أو الحصون-واتخذوا بها الجنات من النخيل والأعناب وسائر الفواكه، والتي تمتد في القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط قِبلة (جنوب) سجلماسة من توات إلى تمنطيت. وصفها بالبلد المُستبحر في العمران ذ تتكون مما يفوق مائتي قصر، وأنها مَحط رِكاب التجار بين بلاد المغرب ومالي. ووصف أيضا القصور الواقعة قِبلة تلمسان بالمُستبحرة في العمران والغاصة بالسكان، ووصف أساليبهم الخاصة في استخراج المياه الجوفية (ابن خلدون، 1988: 77/7)؛ والتي سنفصل فيها لاحقا.

ويمحوا ابن خلدون بدوره -في غير موضع- الصورة النمطية التي رسمها سابقوه عن القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط، حيث أكد أنها آهلة بالقصور ذات النخل والأنهار (ابن خلدون، 1988: 86/6) كما ذكر أن فواكه بلاد السودان كلها تأتيهم من قصور إقليم توات مثل توات وتكدارين ووركلان (ابن خلدون، 1988: 70/1) كما أطلق عليها اسم بلاد الجزيرة ذات النخيل، وقال في وصفها أيضا بأنها: "بلاد متتالية على سطر من المشرق إلى المغرب أقرب ما إليها جبل راشد، وهي ذات نخل ومزارع وأنهار ثم قصور معينات تناهز المائة وأكثر قبلة الجزائر ذات نخل وأنهار" (ابن خلدون، 1988: 132/6)

كما أخبر العلامة عن تحول الطريق التي سلكها ابن بطوطة بين توات وأكبر قراها بودي، نحو تمنطيت بسبب غارات الأعراب على القوافل في الطريق الأولى فتم اهمالها (ابن خلدون، 1988: 77/7) وبالتالي فإن الأمان الذي عرفته هذه الطريق وتغنى به ابن بطوطة، وعاينه بنفسه في منتصف القرن الثامن الهجري، وأكد أنه مستدب منذ عهد الموحدين ومستمر مع المرينيين، قد انفلت عقده مع نهاية القرن وصارت هذه الطريق مرتعًا لقبائل الأعراب الذين يمتهنون اللصوصية فيها.

3.4 إقليم شمال السودان الغربي:

على عكس الإقليمين السابقين، بقي هذا الإقليم محل غموض حتى بعد القرن الثامن الهجري الذي توضحت فيه صورة صحراء بلاد المغرب، فلا نجد تفصيلا لحواضره وقراه، أو وصفا لها من قبل الرحالة والجغرافيين، بل مجرد تعميمات وأحكام متداولة على الأغلب.

لكن يمكننا القول أنه على الرغم من الغموض الذي يكتنف وصف الإصطخري لصحراء المغرب عموما، وقفارها وصعوبة العيش أو العبور فيها، إلا أنه يعود ويؤكد في موطن آخر أن الطريق إلى السودان من جهة المغرب يبقى أسهل الطرق، مُقارنة مع طريقها عبر المناطق الأخرى التي تُتاخمها فيقول:" بلدان السودان بلدان عريضة إلّا أنّها قفرة قشفه جدّا... وليس لها اتّصال بشيء من الممالك والعمارات إلّا من وجه المغرب، لصعوبة المسالك بينها وبين سائر الأمم" (الإصطخري، 2004، 41).

وفي وصفه لخريطة بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، لم يوغل ابن حوقل (ت 367هـ) كثيرا في وصف الصحراء، سوى ما عرج عليه خلال ذكره السريع لخط أهم الحواضر المغربية على تخوم السودان. ثم وصفه للبلاد الواقعة بين شمال المغرب وبين السودان، بقوله:" وعلى النهر أغمات والسوس، ومن وراء النهر مقابل السوس أودغشت، ثم فوق ذلك سجلماسة في عطف نهر آخر... وعند مبتدأ هذا النهر تهرت، وأسفل ذلك في البر سامه ثم أسفل ذلك عند طرف الصورة غانة" (ابن حوقل، 1938، 65) والمجال الواقع بين هذه الأقاليم يضم أجزاء واسعة من إقليم شمال السودان الغربي من صحراء المغرب الأوسط، وقد وصفها بالمفاوز والبراري المنقطعة قليلة المياه والمراعي في قوله: "وبين المغرب والبلدان التي قدّمت ذكرها وبلد السودان مفاوز وبراري منقطعة قليلة المياه متعذّرة المراعي لا تسلك إلّا في الشتاء وسالكها في حينه متّصل السفر دائم الورود والصدر" (ابن حوقل، 1938: 103).

بعد البكري قدم الإدريسي (ت560هـ) خلال القرن السادس الهجري معلومات غزيرة عن صحراء بلاد المغرب، وقد وصف الصحراء المتاخمة لبلاد السودان بالخالية التي

لا عمارة فيها (الإدريسي، 1988: 17) وأن أكثر أرضها رمال تنسفها الرياح من مكان إلى آخر. شحيحة المياه، حيث يُسقى أهلها من مجابات المياه التي قد ينقطع فيها الماء من يومين إلى اثنى عشر يوما. كما أن هذه المناطق هي معبر القوافل لتموين بلاد السودان بالتمر من سجلماسة، أو من بلاد الزاب عبر ورجلان، لخلو بلادهم من الفواكه الرطبة (الإدريسي، 1988: 21). كما تحدث عن كثرة الحيات الكبيرة الضخمة بها، وأن القوافل تعبرها إجمالا في فصل الخريف لتجنب فترات الحر الشديد بها (الإدريسي، 1988: 107).

كما تحدث الإدريسي عن نهر درعة الذي كان أهل درعة يزرعون على ضفافه الحناء والكمون والكروياء والنيلج (الإدريسي، 1988: 127). فواد درعة يقع اليوم على الحدود الجزائرية المغربية (نواحي مدينة تندوف الجزائرية حاليا)، ويشكل جزءً كبيرا من الحدود السياسية بين البلدين. ومثل هذه الأشكال الطبيعية جبالا كانت، أو وديانا، وأنهارا، لم تعرف حدودا سياسية أو غيرها، بل شكلت مناطق جذب وتجمع سكاني للقبائل حولها، ونقاط تركز ونمو للحواضر ومراكز الحضارة لتوفيرها لظروف الحياة المطلوبة دون اعتبارات أخرى

والظاهر أن حال هذه المنطقة لم يتغير كثيرا، فقد وضح ابن خلدون–بعد ثلاثة قرون-أن الصحراء الواقعة إلى الجنوب باتجاه مالي والسودان الغربي هي: " المفازة المُجهلة لا يهتدي فيها للسبل، ولا يمر الوارد إلّا بالدليل الخبير" (ابن خلدون، 1988: 77/7) وتحدث بدوره عن منطقة واد درعة قائلا:" فأما درعة فهي من بلاد القبلة موضوعة حفا في الوادي الأعظم المنحدر من جبل درن من فوهة يخرج منها وادي أم ربيع، ويتساهل إلى البسائط والتلول ووادي درعة ينحدر إلى القبلة مغربا إلى أن يصب في الرمل ببلاد السوس، وعليه قصور درعة،" (ابن خلدون، 1988: 88/6).

5.وصف الجانب البشري:

عرض الإصطخري (ت346هـ) لوصف سكان القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط عند حديثه عن توزيع مواطن قبائل البربر وأوصافهم، فاقتصر على الوصف الخارجي دون التطرق للطبائع والأخلاق، حيث ذكر أن قبيلة زناتة هي التي تتوطن منطقة تيهرت ونواحيها، أي إقليم شرق السوس الأقصى. وذكر أن سكان بلاد المغرب عموما يتميزون بسمرة البشرة، لكن هذه السمرة تزيد باتجاه المناطق الجنوبية إلى غاية السودان. إذ يقول:" وأرض المغرب ما كان منها فى شرقي بحر الروم بقرب الساحل فتعلوهم سمرة، وكلّما تباعدوا فيما يلي الجنوب والمشرق ازدادوا سوادا حتّى ينتهوا الى بلد السودان، فيكون الناس بها اشدّ الأمم سوادًا" (الإصطخري، 2004: 44) فجاء وصفه هذا مقتضبا عاما كما هي عادة الإصطخري في الاختصار وتقديم المعلومات العابرة دون تفصيل.

وقدم بعده ابن حوقل (ت367هـ) في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، معلومات مفيدة عن سكان صحراء المغرب الأوسط مع جُملة البربر الساكنين الأطراف الجنوبية لبلاد المغرب من فزان الليبية، إلى سجلماسة المغربية، نحو أودغشت في موريتانيا –حاليا-بأنهم:" قبائل من البربر المهملين، الذين لا يعرفون الطعام، ولا رأوا الحنطة، ولا الشعير، ولا شيئًا من الحبوب. والغالب عليهم الشقاء والاتّشاح بالكساء وقوام حياتهم باللبن واللحم" (ابن حوقل، 1938: 84) فالمبالغة هنا واضحة، وإطلاق الأحكام والتعميم قد تكون من الزلات التي وقع فيها ابن حوقل غير مرة في كتابه، ناهيك عن التحيز الواضح والتمذهب الذي اصطبغ به.

ويقول عن كثرة البربر سكان صحراء المغرب عموما ونمط معيشتهم:" والبربر السكّان بالمغرب فقبائل لا يلحق عددهم، ولا يوقف على آخرهم، لكثرة بطونهم وتشعّب أفخاذهم وقبائلهم، وتوغّلهم في البراري، وتبدّدهم في الصحاري. وجميعهم من ولد جالوت إلّا اليسير منهم. وفيهم ملوك ورؤساء ومقدّمون فى القبائل يطيعونهم فلا يعصونهم ويأمرونهم فلا يخالفونهم، والمال فيهم من الماشية كثير غزير" (ابن حوقل، 1938: 100)

ويقول في وصف البربر القاطنين في إقليم شرق السوس الأقصى: "ومن بأدانى سجلماسة والمغرب من البربر يأكلون البرّ ويعرفونه، والشعير ويزرعونه، والتمور والطيّبات وفى أعراضهم، أصحاب البرانس المقيمون بين السوس واغمات وفاس، ولهم لوازم على المجتازين من فاس إلى سجلماسة يلزمونهم على ما معهم من التجارة ويخفرونهم، وفى كثير منهم الشراية، والتديّن القويّ بها، والتمسّك بها. وفى بعضهم الاعتزال والعلم ومن بالسوس ونواحى درعه شيعة" (ابن حوقل، 1938: 103) فنجده يقدم معلومات هامة عن عاداتهم في الطعام، وبعض أخلاقهم ومذهبهم، لكنها تبقى معلومات تحتاج إلى المزيد من الدراسة والتدقيق، خاصة فيما ذكره من تشيع أهل درعة ونواحيها رغم ما هو معروف عن انتشار المذهب الخارجي في هذه النواحي.

كما يصف أشكال بربر إقليم شمال السودان الغربي، ويؤكد ما قاله الإصطخري قبله بأن ألوانهم تزداد سمرة كلما اتجهنا جنوبا، كما يشير إلى أن عنايتهم بالنظافة تقل في هذا الاتجاه بقوله: "وفى كثير منهم ألوان حسنة ومحاسن فائقة فى خَلقهم، وأبدان نقيّة حتّى يأخذوا في جهة الجنوب فتستجيل ألوانهم وأبشارهم" (ابن حوقل، 1938: 103)

ويدقق ابن حوقل على عادته في وصف مقدرات البلدان وأقوات أهلها وأنماط عيشهم، حيث نُميز من كلامه نمطين من الحياة، يتوافق كل واحد والبيئة التي يسودها. فأما بربر المناطق الشمالية من صحراء المغرب الأوسط: "جميعهم يبيحون البلاد للمراعي والزرع والمياه لورود الإبل والماشية ... وفيهم أصحاب ماشية، وخيل، وبغال، ونتاج، يقتنون الرمك ويستنتجون البغال وغيرها، ومنهم من لا يقدر لعوز الماء على غير الإبل واليسير من المعز، ولنأي الماء عنه." (ابن حوقل، 1938: 104) بينما يعاني سكان المناطق الواقعة جنوبهم بين بلاد المغرب وبلاد السودان -بصفة أكبر-من شُح المياه، وقلة المراعي، مما يضطرهم لدوام الحل والترحال، كون أن هذه المراعي لا يمكن أن تُسلك إلا في فصل الشتاء حيث يقول: "وبين المغرب والبلدان التى قدّمت ذكرها وبلد السودان مفاوز وبراري

منقطعة، قليلة المياه متعذّرة المراعي، لا تسلك إلّا في الشتاء، وسالكها في حينه متّصل السفر دائم الورود والصدر" (ابن حوقل، 1938: 103)

كما يذكر كلاما غريبا في وصف كرم البربر الذين يسكنون المناطق الممتدة من السوس وسجلماسة إلى تيهرت، والتي تشمل إقليم شرق السوس الأقصى، وغيرهم من بربر الشمال إلى غاية بونة بأنهم:" يُضيفون المارّة، ويطعمون الطعام ويتخلّق قوم منهم بخلق ذميم من بذل أنفسهم لأضيافهم على سبيل الإكرام، ولا يحتشمون من ذلك، وأكبرهم وأجملهم كأصغرهم في بذله نفسه لضيفه حتّى يلحّ به، وقد جاهد على ذلك أبو عبد الله الداعي لبعضهم الى أن بلغ بهم كلّ مبلغ، فما تركوه" (ابن حوقل، 1938: 93) وهي رواية غريبة بعيدة عن الحقيقة، منافية لتعاليم الاسلام التي يدين بها أهل المغرب، المعروفين بصرامتهم في تطبيق الشريعة، والتمسك بالدين.

قدم الإدريسي (ت560ه) أيضا صورًا عن تأقلم أهل صحراء المغرب الأوسط مع ظروف المنطقة القاسية. ومثلما تنقسم المنطقة حسب تقسيمه إلى اقليمين متمايزين من حيث الطبيعة ودرجة الوعورة، فإن طريقة تأقلم السكان معها تختلف أيضا. ففي حين يعيش سكان المناطق الشمالية المُتاخمة للتل على ما يأتيهم غالبا من المناطق المجاورة لهم من منتوجات كالتمر، يضطر سكان الجهة الجنوبية القاحلة المُتاخمة للسودان لأكل الحيات الكبيرة بعد قطع رؤوسها، وطبخها بالملح والماء والشيح، وهي تعد من الوجبات المفضلة عندهم. كما تلجأ القوافل إلى التزود بالمياه من المجابات في أوعية على ظهور الجمال. ويتجنبون السير في أوقات القائلة واشتداد حر الشمس، فيسيرون وقت العصر، وغروب الشمس إلى وقت العتمة حيث يبيتون، ثم ينطلقون مجددا مع أول الفجر إلى طلوع الشمس (الإدريسي، 1988: 107).

وقال عنهم أيضا أنهم أقوام رحالة لا مقام لهم من الأرض، يرعون مواشيهم في أطراف موطنهم ولا يمتزجون بغيرهم، لا يهتمون إلا بالقوت والتزاوج فشبههم بالبهائم في قوله:" وهم أكثر الناس فسادا ونكاحا وأغزرهم أبناء وبنات، وقلما توجد منهم المرأة إلا

ويتبعها أربعة أولاد وخمسة. وهم في ذاتهم كالبهائم لا يبالون بشيء من أمور الدنيا إلا بما كان من لقمة أو نكحة وغير ذلك لا يخطر لهم ذكره على بال " (الإدريسي، 1988: 109)

أما عن وصفهم الخارجي فقد قال الإدريسي أن سكان هذه المنطقة سود اللون لشدة احراق الشمس لهم، وذوي شعور متفلفلة، وهي صفات يشترك فيها سكان الإقليم الأول والثاني وبعض سكان الإقليم الثالث حسب تقسيمه للأرض (الإدريسي، 1988: 107).

وعن القبائل التي تستوطن القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط، ذكر المراكشي صاحب كتاب الاستبصار (القرن 06ه) أن بربر قبيلة مطغرة من زناتة يستوطنون المناطق الواقعة جنوب تيهرت، ويجاورهم في الصحراء إلى الجنوب الغربي بربر مسوفة من صنهاجة إلى غاية أرض فجيج (الواقعة حاليا على الحدود المغربية الجزائرية). وقد وصف هؤلاء بالكثرة، ونمط حياتهم بالترحال الدائم، والعيش على اللحم واللبن. كما ذكر أسطورة عن طرد الجن للسكان من صحاري تلك المناطق، وحتى تبديلهم لأولاد الإنس، واختطافهم للناس أحيانًا، وأخذهم معهم، كما تُرى بهذه الصحاري ليلًا، ويُسمع بها عزف الجن وغناؤهم (المراكشي، 1986: 179)

وأورد القزويني أيضا كلاما غريبا في البربر سُكان أرض المغرب من أقصاها إلى أقصاها، وهذا ينطبق على سكان صحراء المغرب الأوسط:" وهم أحفى خلق الله وأكثرهم بطشاً، وأسرعهم إلى الفتنة وأطوعهم لداعية الضلالة! ولهم أحوال عجيبة واصطلاحات غريبة، سول لهم الشيطان الغوايات وزين لهم أنواع الضلالات" (القزويني، د س: 163) وهو حكم أطلقه لما عرفت به البلاد من انتشار أصحاب الفرق والمذاهب، ونجاحهم في تأسيس كيانات سياسية في بلاد المغرب، كانوا قد فشلوا في تأسيسها في غيرها من بلاد المسلمين، بفضل تصديق أهل المغرب لادعاءاتهم من انتساب لبيت النبوة كالشيعة، أو كرامات وأباطيل كصالح برغواطة، أو حمل لواء الحق كما فعل الخوارج.

كما نقل أيضا روايات غريبة عن عادات البربر وسلوكياتهم، منها ما نقله عن ابن حوقل في بذل البربر أنفسهم للضيف اكراما له. وكذا أحد العادات الغريبة في الزواج، مفادها أن الرجل إذا أراد الزواج من امرأة أحبها ولم يكن كفؤا لها، يقطع شعرًا من ذنب أحد أبقار أبيها الحوامل ويهرب به، فإذا أخبر الراعي أهل الزوجة بذلك خرجوا في طلبه، فإن وجدوه قتلوه، وإن لم يمسكوه يمضي ويقطع ذكر غيره، ويأتي به القوم قبل أن تلد البقرة ليضفر بمن يُحب، وإن لم يعد قبل أن تلد البقرة، ذهب دون عودة، فإن عاد قتلوه (القزويني، د س: 164) وهي رواية عممها على البربر كافة، دون تخصيص لمنطقة قد تكون فعلا قد مارست مثل هذه العادات، وهذا ينافي الواقع ويجانب الصواب، فمن المعروف أن بلاد المغرب شاسعة وقبائل البربر متمايزة فيما بينها في العادات والسلوكيات وأساليب العيش، ومن غير المنطقي أن نحكم عليها بما قد تكون مارسته إحداها، وقد يكون غير موجود أصلا.

ذكر ابو عبد الله الأنصاري بأن المناطق الممتدة من درعة إلى جبل أزرو (في الشمال الجزائري حاليا) موطن لقبائل صنهاجة الأكثر عددا في البلاد وأشار إلى احتفاظهم بسماتهم العربية التي تبدوا واضحة عليهم (الأنصاري، 1825: 124) كما وصف أهل مسوفة المنتشرة في إقليم شمال السودان الغربي من صحراء المغرب الأوسط بأنهم أجمل البربر صورًا (الأنصاري، 1825: 239)

ووصف شهاب الدين العمري (ت 749هـ) سكان بلاد البربر الواقعة شمال مالي، بأن سكانها من البربر البيض (العمري، 2002: 110/4) وأن زيهم كزي بقية المغاربة "دراريع لكنها أضيق، وعمائم بأحناك" وركوبهم الإبل بدل الخيول، وعيشهم عيش أهل البرّ من اللحوم والألبان" (العمري، 2002: 133/4) كما أنهم يكابدون قلة الأقوات، ويعمرون الجبال كثيرة الفواكه. لكن ثراءهم يبقى أقل من ثراء المناطق التي تحت حكام مالي القريبين من مواطن الذهب. لكنهم مع هذا يتصفون بالكرم والشجاعة (العمري، 2002: 134/4).

أورد ابن بطوطة (ت 779هـ) معلومات مفيدة عن سكان صحراء بلاد المغرب، والمميز فيما ذكره هو وصفه لمناطق محددة من صحراء المغرب الأوسط، ونمط الحياة فيها، وبعض عادات سكانها. كما نقل لنا صورًا من أساليب تأقلم الإنسان مع صعوبة بيئتها، ووحشة صحرائها، من قبيل الترحال عبر هذه الصحراء من وقت العصر والنزول عند الصباح اتقاء لحرها ووهج شمسها (ابن بطوطة، 2002: 2/ 539) وهو ما ذكره من سبقوه من الجغرافيين الذين ورد ذكرهم سابقا. والحرص على التزود بما يكفيهم المسافة التي يقصدونها من الماء والطعام، وحتى الخدم الذين يحتاجونهم في الطريق. فحالتنا نفسه حمل زاد سبعين يوما في طريقه من تكدا إلى توات، ورافق قافلته حوالي ستمائة خادم (ابن بطوطة، 2002: 2/ 523)

كما نقل لنا ابن بطوطة في حديثه بعض صور العيش والطعام والتبادلات التجارية الموجودة في هذه النواحي، فأخبرنا مثلا عن انعدام الطعام في الطريق ما بين تكدا وتوات غير اللبن واللحم، والسمن الذي يُقايض بالأثواب هناك، وكذا تجارة اللحم المقدد وحمله إلى توات (ابن بطوطة، 2002: 2/ 542) وكيف أن السمن والزيت يُجلب إلى نواحي توات من المغرب. وأن الغالب على طعام أهلها هو التمر والجراد الذي يخرجون لصيده قبل طلوع الشمس ويختزنونه كما يختزنون التمر ليقتاتوا به (ابن بطوطة، 2002: 2/ 543)

وقد ذكر عن أخلاق سكان هذه الصحراء أمورًا حسنةً، مثل مُراعاة حُرمة شهر رمضان بعدم الإغارة على القوافل فيه، وأن البربر فيها لا يتعرضون لمتاع وجدوه على الطريق حتى ولو كانوا من السُّراق (ابن بطوطة، 2002: 2/ 542) وهو ما أكده ابن خلدون نهاية القرن الثامن ومدخل القارن التاسع الهجريين، حيث يقول في حديثه عن عرب المعقل:" ولم يكن هؤلاء العرب يستبيحون من أطراف المغرب وحلوله حمى، ولا يعرضون لسابلة سجلماسة ولا غيرها من بلاد السودان بأذية ولا مكروه لما كان بالمغرب من اعتزاز الدين وسد الثغور وكثرة الحامية" (ابن خلدون، 1988: 86/6) وهي من الروايات التي

تؤكد تمسك البربر بالدين وشرائع الإسلام حتى في أقاصي الصحراء، عكس ما أورده بعض الجغرافيين مثل ابن حوقل والقزويني وما رموهم به من ضلالات. رغم بعض المُضايقات التي قد يتعرض لها التجار فيها مثل حبس قافلتهم مقابل غرامة (ابن بطوطة، 2002: 2/ 543)

ورغم تركيز ابن خلدون في حديثه عن العنصر البشري على تحديد مواطن القبائل البربرية والعربية، وأصولها، وما عرفته من أحداث، إلا أنه يُورد لنا بعض المعلومات عن أخلاق، وعادات، وأقوات أهلها، وكيفية تكيفهم مع بيئتهم. حيث أشار إلى خبرة البربر الملثمين بطرق الصحراء وقَفَرِها، لذا يستأجرهم التجار ليدلوهم على الطريق، واستحالة الاستدلال فيها دون مساعدتهم (ابن خلدون، 1988: 77/7) وهذا يؤيد ما ذكره ابن بطوطة عن الدور الذي تقوم به مسوفة في هذا المجال.

وفي حديثه اشارات عديدة إلى أساليب تأقلم سكان صحراء بلاد المغرب؛ ومنهم سكان صحراء المغرب الأوسط؛ لقساوة موطنهم. ومنها: الارتحال إلى الأماكن الباردة زمن الحر الشديد؛ كما يفعل قبائل الملثمين الذين يرتحلون شمال أراضيهم بعض السنين إذا لفحهم الهجير، يستبردون" (ابن خلدون، 1988: 158/6). ومنها: ابتداعهم لأساليب خاصة في استنباط المياه الجارية، يقول عنها: "وذلك أنّ البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة، فتنحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرقّ جرمها، ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها على الماء، فينبعث صاعدًا فيعمّ البئر ثم يجري على وجه الأرض واديًا" (ابن خلدون، 1988: 77/7) وقد أشاد عموما بما أنجزه البربر من تحديهم لقسوة الصحراء ووحشتها، بتشييدهم للحصون، والآطام، وقصور توات وتيجورارين وفجيج ومصاب وغيرها، والأمصار في الصحراء القفر في القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط، مُحولين أراضيها إلى جنات ونخيل وبلاد عامرة (ابن خلدون، 1988: 136/6)

كما وصف سَاكِنة الصحراء الغربية من بلاد المغرب، من بربر بني يامداس وورتطغير، ومصاب، وبني عبد الواد، وبني مرين بأنهم أهل عدد وعدة يعيشون في عِزَّةٍ، بعيدا عن سيطرة حكام المغرب ومغارمهم، وأن أكثرهم تجار إلى بلاد السودان. وأكثر معاشهم من بلح النخل (ابن خلدون، 1988: 77/7). كما أكد أن المعقل هم أكثر القبائل العربية نسلا في البلاد وعددًا، مقارنة برياح والعمور من الأثبج، الذين تكاثروا بمن اجتمع إليهم من غير فرعهم (ابن خلدون، 1988: 87/6) بينما مضغرة أو مذغرة من أوفر شعوب البربر عددًا (ابن خلدون، 1988: 155/6) وأشار في غير موضع إلى اتباع قبائل البربري هذه النواحي للمذهب الخارجي، مثل مضغرة التي اتبعت المذهب الصفري (ابن خلدون، 1988: 155/6)

بعد هذه الأوصاف المتنوعة، والمتباينة لسكان الجنوب الغربي الجزائري في الكتابات الجغرافية، نستطيع أن نقول إن صورة سكان بلاد المغرب عموما، وصحراءها، بما فيها القسم الجنوبي لصحراء المغرب الأوسط تحديدا، لم تكن واضحة. بل تأثرت بجملة الأحكام المسبقة، والتعميم الذي طالهم من أهل المشرق، وجعلهم جميعا في كفة واحدة، لا تميز بين الصالح والطالح، بل تأخذ أكثرهم بجريرة بعضهم. لكن الفصل والتمييز وإنزال الناس منازلها، قد بدأ مطلع القرن الثامن مع بروز كتابات أهل بلاد المغرب أنفسهم من أمثال ابن بطوطة وابن خلدون.

5. توزيع القبائل في المنطقة:

نستطيع أن نستشف من خلال ما أورده الرحالة والجغرافيون عن بلاد المغرب، مواطن القبائل البربرية والعربية، وأماكن انتشار كل منها، ومن خلالها نستنتج توزيع القبائل في القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط.

ذكر الإدريسي أن إقليم شمال السودان الغربي من نول لمطة بالمغرب إلى نواحي تازكغت (الساقية الحمراء الواقعة على الحدود الشرقية لواية تندوف الحالية) هي بلاد قبيلة لمتونه من صنهاجة (الإدريسي، 1988: 223).

وذكر المراكشي صاحب كتاب الاستبصار (القرن 06هـ) أن بربر قبيلة مطغرة من زناتة، يستوطنون المناطق الواقعة جنوب تيهرت، ويجاورهم في الصحراء إلى الجنوب الغربي بربر مسوفة من صنهاجة، إلى غاية أرض فجيج (المراكشي، 1986: 179)

بينما ذكر ياقوت الحموي (ت 626هـ) في القرن السابع الهجري أن قبيلتي لواتة وهوارة هما اللتان تستوطنان المناطق الواقعة جنوب تيهرت إلى غاية درعة (على الحدود الجزائرية المغربية)، وفي غربيها زواغة وبجنوبيها مطماطة وزناتة ومكناسة (ياقوت الحموي، 1995: 08/2).

تحدث ابن بطوطة عن توطن قبيلة مسوفة في إقليم شمال السودان الغربي (وهي الممتدة حاليا على الحدود المالية الجزائرية) التي أدت دورا بارزا في توجيه وخفارة القوافل العابرة من المغرب للسودان، حيث يعمل متخصصون منهم يعرفون باسم "التكشيف" كما ذكرنا سابقا كأدلاء على الطريق ومقتفي أثر، يكتريهم الناس للاستدلال على الطريق، أو البحث عمن ضاع في الصحراء (ابن بطوطة، 2002: 2/ 524)

وفصَّل ابن خلدون (ت 808هـ) في توزيع القبائل البربرية والعربية عبر أراضي بلاد المغرب وصحرائها بشكل ممتاز، يُمكننا من رسم صورة تقريبية لتوزيع القبائل عبر الجنوب الغربي الجزائري. إجمالًا، ذكر بأن قبلة (جنوب تلمسان) إلى غاية نهر ملوية؛ والتي تشمل إقليم شرق السوس الأقصى؛ كانت من المواطن الأولى التي سكنها الجيل الأول من قبيلة زناتة، حيث كانت الرئاسة فيهم قبل الإسلام لجراوة ثم لمغراوة وبني يفرن (ابن خلدون، 1988: 11/7) وهذا ما يفسر غلبة هذه القبيلة على هذا الإقليم.

كما ذكر أن بنو يامدس أو بنو يالدس من بطون بني وماتو من مغراوة الزناتية هم من اختط القصور الواقعة جنوب المغرب الأوسط ومنها قصور القسم الغربي لصحراء

المغرب الأوسط مثل توات وتمنطيت وتيكورارين، وأنهم أكثر سكان هذه المناطق، ويجاروهم في حاضرتها بعض قبائل البربر الأخرى مثل ورتطغير ومصاب وبني عبد الواد وبني مرين. أما ضواحيهم فينتجعها العرب من عبيد الله من المعقل، الذين يرحلون كل شتاء إلى قصور توات، ويجتمع إليهم التجار في الطريق من كل الأمصار حتى يصلوا إلى تمنطيت، ومنها إلى بلاد السودان. كما يشارك بني عامر بن زغبة قبيلة عبيد الله في تيكرارين في بعض السنوات (ابن خلدون، 1988: 78/7) وقد حدد ابن خلدون الموطن الدائم لبني عامر بن زغبة في مداخل صحراء المغرب الأوسط من جنوب جبل راشد (جبل عمور) ضمن سلسلة الأطلس الصحراوي حاليا إلى فيافي الصحراء جنوبا (ابن خلدون، 1988: 158/6)

ويروي لنا ابن خلدون كيفية تغلب المعقل على هذه الأقاليم بعد أن كانت الغلبة والرئاسة فيها لزناتة البربرية، حيث أن قبائل المعقل عندما دخلوا المغرب مع الهلاليين واعترضهم بنو سليم وأعجزوهم، جاوروا زناتة في القفار والغربية، وتكاثروا في صحاري بلاد المغرب هذه، وعمروا رمالها وتغلبوا على فيافيها، وحالفوا زناتة. فلما تمكنت زناتة من بلاد المغرب ودخلوا إلى الأمصار والمدن، تفرد هؤلاء المعقل في البيداء، وملكوا قصور الصحراء التي كانت لزناتة مثل توات، وتاسبيبت، وتيكورارين، وتمنطيت، واستغلوا تناحر من بقي من زناتة هناك على الرئاسة، وحكموا هم البلاد، ووضعوا عليها الاتاوات والضرائب، وملكوا جبايتها (ابن خلدون، 1988: 6/77-78)

كما أشار ابن خلدون إلى توطن بعض بطون خريس أو ضريسة من البربر البُتر وهم مطغرة أو مدغرة، ومعهم بعض العوالم من أوربة فيما بين تافيلالت وتوات، ومنها ميسرة المضغري الذي قاد معركة الخوارج والي المغرب في معركة طنجة سنة 122هـ (ابن خلدون، 1988: 133/6). لكن مضغرة عرفت تشتتا وتراجعا بعد هذا العهد، فاندرجوا تحت لواء الدول الحاكمة في بلاد المغرب، واستكانوا لدفع الضرائب لها، ومنهم من نزل جنوبا

واستوطن قصورها مثل توات وعمدوا إلى اغتراس النخل فيها كما فعل العرب قبلهم (ابن خلدون، 1988: 157/6)

هذه التفاصيل التي وردت عن مواطن قبائل بلاد المغرب، وصحراء المغرب الأوسط، رغم تفرقها في المصنفات، وتوزعها عبر صفحاتها، إلا أن جمعها يقدم صورة جلية عن أصل، وتوطن، ومعاش أهل المنطقة محل الدراسة.

6. خاتمة:

يمكن القول بعد ما تم استعراضه، أن القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط لم يكن منطقة على هامش الأحداث والتاريخ في بلاد المغرب. كما أن جغرافيته الصعبة، بين رمال الصحراء الوعرة، والكثبان الكثيفة، والحرارة العالية، والشمس المُحرقة، لم تمنع سكانه من اقامة حضارة خاصة بهم، مطبوعة بمميزاتهم وخصائصهم، وابتداع أنماط حياة خاصة في الحل والترحال، تُمكنهم من التعايش مع بيئتهم وتحدِّيها أحيانا، من أجل البقاء والتطور والتوسع.

اختلف تحديد المجال الجغرافي لصحراء المغرب الأوسط، باختلاف التقاسيم التي اعتمدها الجغرافيون، حيث نجدها تقع عند الإدريسي في القرن السادس الهجري ضمن الجزء الأول من الإقليم الأول، والجزئين الأول والثاني من الإقليم الثاني. والجزء الأول من الإقليم الثالث. بينما تقع عند ياقوت الحموي في القرن السابع الهجري، ضمن الإقليم الثالث، ومثله عند ابن خلدون. بينما تقع ضمن الإقليمين الثاني والثالث عند ابن سعيد المغربي أواخر القرن السابع الهجري. كما اختلفوا حول حدودها الجنوبية، لأن بعضهم يضم أجزاء منها إلى بلاد السودان.

قد يغيب القسم الربي لصحراء المغرب الأوسط في الكتابات الجغرافية المُدونة إلى غاية القرن السادس الهجري تقريبا، لكنه لم يغب عن الحضارة الإنسانية وتاريخ بلاد المغرب وافريقيا، بل كان حاضرًا بأراضيه التي كانت معابر لقوافل التجارة مع السودان، وسكانه الذين كانوا أدلاء وخفرا لهذه القوافل، ومُضيفين لتجارها. فالتغييب الذي نُلاحظه في كتابات الفترة المدروسة إذا، لا يرجع لكونه منعدما، بل لكونه مجهولا. والفرق بين الأمرين شاسع.

لم تظهر شخصية القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط المستقلة عن باقي مناطق الصحراء الكبرى في الكتابات الجغرافية إلا مع القرن الثامن الهجري، أين تبرز أسماء حواضره، وأوصاف أهله، وأنماط عيشهم ومواقعهم بصفة دقيقة، وتتوضح صورة حياتهم في فترة العصر الوسيط، وكل ما يتعلق بهم من عادات وتقاليد، ومعاملات، وأقوات، وعلاقات. أما قبل ذلك فقد كان مجرد جزء من صحراء المغرب الكبيرة، يخلط البعض بينه وبين بلاد السودان في أغلب الأحيان.

أبانت كتابات ابن بطوطة وابن خلدون عن حضارة عريقة لصحراء المغرب الأوسط في العصر الوسيط، حيث استطاع سكانها ابتكار أساليبهم الخاصة في التعايش مع بيئتهم، وتحويلها من قفار تُنسج حوله الأساطير، إلى جنات تُحمل منها السلع إلى الأقاليم المجاورة.

تقاسمت القبائل البربرية والإفريقية أراضي القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط، حيث غلبت عليه قبيلة زناتة البربرية، فتركزت مطغرة أو مضغرة في مدخل الصحراء من الجهة الشمالية للمنطقة. بينما تركزت لواتة ومسوفة من صنهاجة أقصى الجنوب الغربي. وكانت قبائل زناتة هي أول من اختط قصور الجنوب الغربي الجزائري وتوطنت في حواضرها، إلى أن جاورتهم القبائل العربية من المعقل في ضواحيها، ثم خلفتهم عليها عند تغلب الزناتيين على المدن ورحيلهم إلى الأمصار. ومع المعقل انتجع بني عامر بن زغبة تيكورارين أحيانا قادمين من موطنهم الدائم في مدخل الصحراء جنوب جبل راشد (جبل عمور).

وفي الأخير نؤكد على ضرورة الخروج بكتب الجغرافيا ومدونات الرحلة في العصر الوسيط من دائرة الاستخدام النمطي لها في تحديد المواقع، أو وصف التضاريس. والالتفات إلى ما تحمله بين طياتها من معلومات عن الإنسان وحضارته وصفاته ومعاملاته. وهي الطريقة التي سوف تُخرج مناطق مثل القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط من دائرة الظلام في العصر الوسيط، إلى دائرة الضوء. وتساعد في محو الصور النمطية التي كرستها بعض الكتابات السطحية، ورسم صور واضحة المعالم، متكاملة الجوانب من خلال استنطاق الكتابات المتخصصة

بطريقة جديدة مدققة، بعيدة عن تناقل الأخبار والأساطير. هذا وحده ما سيوصلنا إلى معرفة حقيقية تؤسس لتاريخ صحراء المغرب الأوسط في العصر الوسيط.

قائمة المراجع:

1-الادريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد القرشي. (1988). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ط.02). بيروت: عالم الكتب.

2-الاصطخري، أبو القاسم إبراهيم بن محمد الكرخي. (2004). المسالك والممالك. بيروت: دار صادر.

3-الأنصاري، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي. (1825). نخبة الدهر في عجائب البر والبحر. بطربورغ: مطبعة الأكاديمية الامبراطورية.

4-ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي. (2002). تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. سورية: دار الشرق العربي.

5-البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز. (1992). المسالك والممالك. بيروت: دار الغربي الإسلامي.

6-الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، (1995)، معجم البلدان (ط.02). بيروت: دار صادر.

7-ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي. (1938). صورة الأرض. بيروت: دار صادر.

8-ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. (1988). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (ط.02). بيروت: دار الفكر.

9-العمري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن فضل الله. (2002). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. أبو ضبي: المجمع الثقافي.

10-الغرناطي، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم. (1993). تحفة الألباب ونخبة الاعجاب. المغرب: دار آفاق الجديدة.

11-القزويني، أبو عبد الله زكريا بن محمد. (دس). آثار البلاد وأخبار العباد. بيروت: دار صادر.

12-مؤنس، حسين. (1987). أطلس تاريخ الإسلام. القاهرة: الزهراء للإعلام العربي.

13-المراكشي، مجهول. (1986). الاستبصار في عجائب الأمصار. بغداد: دار الشؤون الثقافية.

14-المغربي، أبو الحسن علي بن سعيد. (1970). الجغرافيا. بيروت: المكتب التجاري.

الملاحق:

خريطة بلاد المغرب والصحراء الكبرى: مواقع جغرافية وتاريخية (مؤنس، 1987: 156-157).

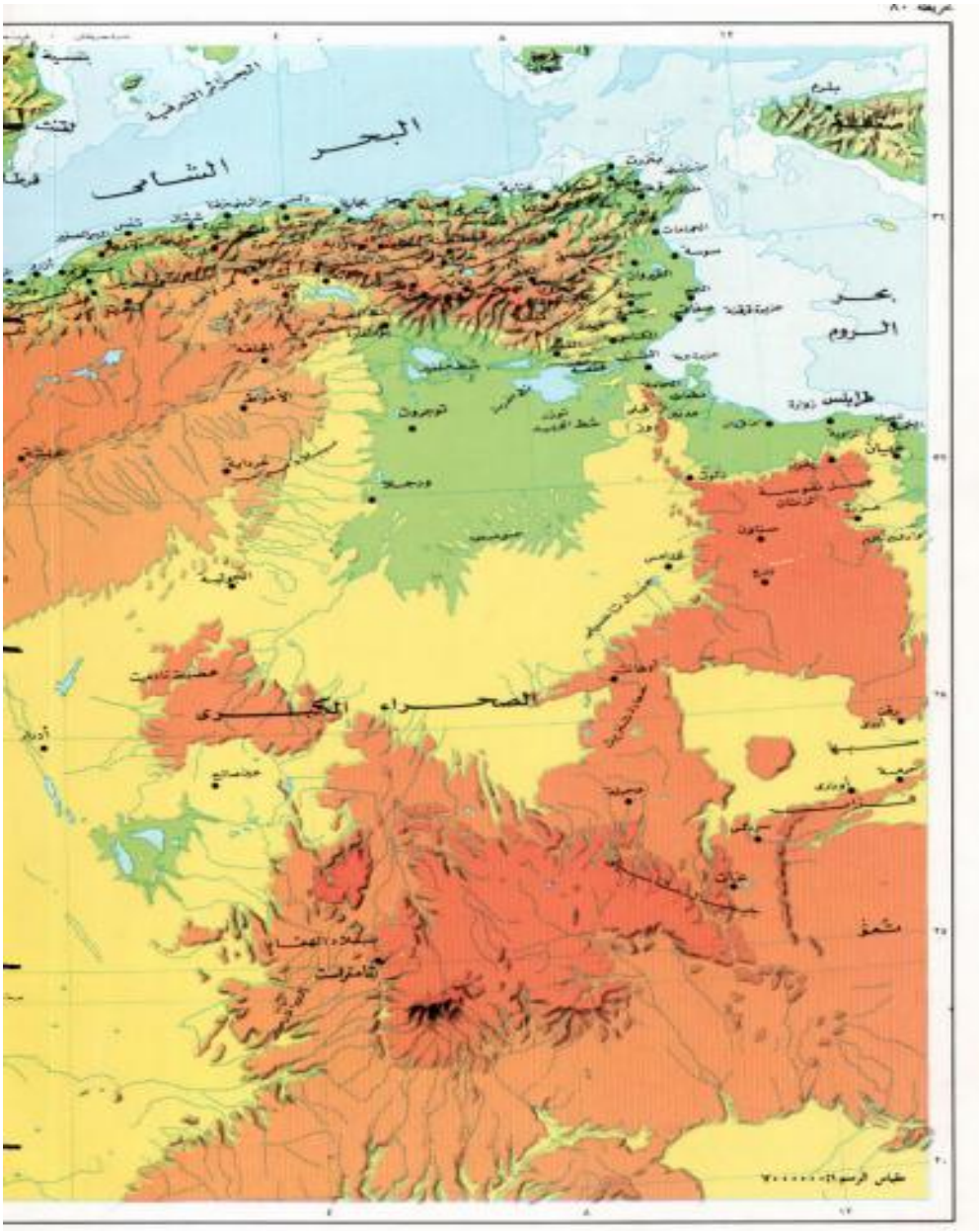

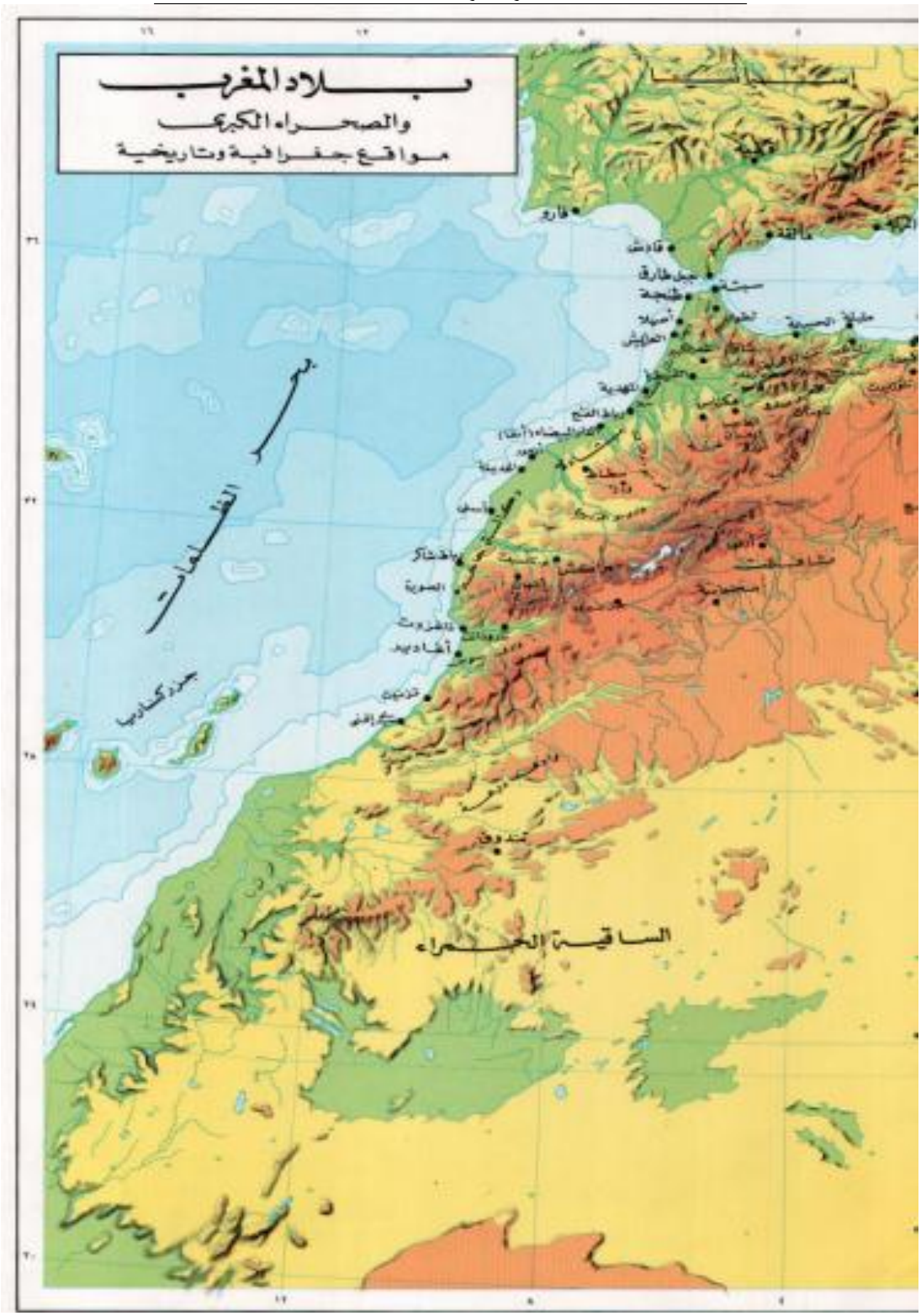
بـــلاد المغرب
والصحـــراء الكبرى
مـواقـع جغـرافية وتاريخية
البحر
الظلمات
جزر كناري
الساقية الحمراء